نشأة الحركة العمالية العربية في فلسطين ودوافعها الموضوعية والذاتية

حيدر رشيد

إرهاصات الولادة التاريخية

حمل الاحتلال البريطاني لفلسطين مجموعة من التغيرات الهامة التي أحدثها على أرضية الواقع الفلسطيني، وبشكل خاص، على واقعه الاقتصادي. ومن هذا الموقع، مثّل الاحتلال بداية مرحلة جديدة في تاريخ شعب تلك المنطقة، وقد اتخذت هذه المرحلة إتجاهين. ففي الاتجاه الأول، دفع الاحتلال إلى الامام تطور القوى المنتجة في المجتمع الفلسطيني، بقطاعيه العربي واليهودي، وساهم بذلك في تغيير نمط العلاقات الاجتماعية، وفي إحلال علاقات وأذواق وأنماط معيشة جديدة ظهرت مع التغيرات المختلفة التي حدثت في المجتمع. هذا إضافة إلى مجموعة التطورات الاقتصادية والديمغرافية التي سنتناولها بالتفصيل في سياق هذا الفصل. وفي الاتجاه الثاني، سجل الاحتلال بداية النشاط المبرمج والمخطط لتحويل فلسطين إلى قاعدة استعمارية عن طريق حقنها بآلاف المهاجرين اليهود، وذلك في الوقت نفسه الذي استمر فيه العمل على تحويل هؤلاء المهاجرين بطرق مختلفة إلى مجموعة بشرية متجانسة، ليمكن بعد ذلك خلق مجتمع يهودي متكامل داخل المجتمع الفلسطيني، كخطوة على طريق تحويل فلسطين بكاملها إلى دولة يهودية.

إلا أن ذلك يجب ألّا يحجب عن أعيننا حقيقة هامة تتعلق بالاحتلال البريطاني لفلسطين؛ وهي أن هذا الاحتلال، وان كان بداية لمرحلة جديدة، فقد مثّل، أيضاً، في الوقت نفسه نهاية لمرحلة سابقة بلغت فيها التفاعلات المختلفة حداً بدأ بإفراز أوضاع جديدة على صعيد العمل السياسي والعمالي والوطني، وعلى كافة الأصعدة الأخرى. وقد تمثلت هذه التغيرات، بشكل خاص، بالأمور التالية: التمايز الذي حدث داخل المنظمات العمالية اليهودية، بين العمل السياسي الذي خلق منظمات سياسية صهيونية وبين العمل النقابي الذي خلق المنظمة النقابية الصهيونية (الهستدروت)؛ وتشكل القوى السياسيّة الثورية اليهودية وانفصالها عن المنظمات الصهيونية وتشكيلها لمنظماتها المستقلة؛ وظهور، أو بروز، الأشكال الأولية لمقدمات توجه العمال العرب نحو العمل النقابي والمساهمة فيه،